متى شاء وكيف شاء وعلى من شاء يعنى ان تحلق به مشيته التابعة للحكمة البالغة فلا رادّ لانزاله وما
انتم بمعجزين اى بفائتين من عذاب الله بالهرب او بالمدافعة كما تدافعوننى فى الكلام ولا ينفعكم نصحى
اى لا ينفعكم نصيحتى وانذارى وتحذيرى من نزول العذاب بكم والنصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه
الخير من فعل وقول وحقيقته امحاض ارادة الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش ان اردت
ان انصح لكم لتستغفروا من الشرك فتؤمنوا ان كان الله يريد ان يغويكم
اى يضلكم ويهلككم على الضلالة ارادة مستمرة فانى وان كنت رسول الله فليس لى تغيير تلك الارادة
وفى اللباب فى معنى ان يغويكم يعنى يضلكم وقيل يهلككم وهذا معنى وليس بتفسير لان الاغواء يؤدى
الى الهلاك انتهى قال الاستاد فى قوله ان كان الله يريد ان يغويكم شرط داخل على شرط آخر وهو ان اردت
ان انصح لكم فيكون شرط الثانى مقدما فى الحكم تقديره ان كان الله يريد ان يغويكم لا ينفعكم نصحى ان اردت
ان انصح لكم وهذا دليل بين لنا فى ارادة المعاصى قال الشيخ فى تفسير قوله ان اردت ان انصح لكم شرط
وجزاؤه محذوف اى فتؤمنوا وما قبل هذا الشرط يعنى ولا ينفعكم نصحى دليل الجواب والجملة يعنى مجموع
قوله ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وخلاصة
ما قالوا فى وجه ترادف الشرطين هنا ان الشرط الثانى جزاؤه مجموع قوله لا ينفعكم نصحى ان اردت ان
انصح لكم فهو فى حكم الجزاء توسعا او فصل بالشرط الثانى معنى فهذا الشرط مع جزائه يكون فى حكم جزاء
الشرط المقدم عليه وكذلك الحكم فى كل شرط الى ان تنتهى الشروط السابقة فلو قال رجل لامرأته انت
طالق ان كلمت زيدا ان دخلت الدار ان اكلت خبزا كان تقديره ان اكلت خبزا فانت طالق
فلو كلمت ثم دخلت ثم اكلت لم تطلق لانعدام شرط كون الدخول مستلزما للطلاق لكن ان اكلت
اولا ثم دخلت ثم كلمت طلقت فيكون تقدير الاية ايضا ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت
ان انصح لكم لا ينفعكم نصحى فتأمل هذه التعليقات حكمها ان يتقدم المؤخر ويتاخر المتقدم فى الوقوع كما
عرفته وهذا الكلام جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل فكانه قال نعم لا طائل فى جدالى
ان كان الله يريد اغواءكم لكن لا علم لى بذلك فانصح لكم ما لم اقنط منه فاوحى الله اليه انه لن يؤمن من
قومك الخ وهو دليل على ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وان اردت
زيادة بيان فراجع تفسير الامام قوله عز وجل هو ربكم اى هو خالقكم والمتصرف فيكم وفق
ارادته له الحكم والامر فلا تقدرون الخروج من سلطانه واليه ترجعون فى الاخرة فيجازيكم على
اعمالكم ثم قالوا انه افترى من نفسه التوحيد والدعوة اليه فقال الله تعالى لنوح عليه السلام
بالاستفهام للتقرير وزيادة الميم للتحسين ام يقولون اى ايقولون قوم نوح قال السيوطى بل يقولون
كفار مكة لنبينا افتراه اى اختلقه وجاء به من عند نفسه واسنده الى الله وفى اللباب والضمير يعود
الى الوحى الذى جاءهم به قال البغوى قال ابن عباس يعنى نوحا وقال مقاتل يعنى محمدا عليه السلام واختار ابن
كمال وصاحب الامانى بقول مقاتل وقالا هذا انسب واظهر بالسياق لانه كالتكرير لقوله ام يقولون افتراه
وانما اورده فى اثناء قصة نوح عليه السلام على وجه الاعتراض اشارة الى ان نسبة محمد عليه السلام
الى الافتراء بعد اتيانه بقصة نوح على هذا الاسلوب المعجز مع طول الزمان وعدم مطالعة الكتب والكذب

غاية

غاية العناد والمكابرة فجاز زيادة انكار على انكار كانه قيل بل اسمع هذا البيان ايضا يقولون
افتراه وهذا نظير اعتراض قوله وان يكذبوك فقد كذب امم من قبلكم بين قصة ابراهيم عليه السلام
على احد الوجهين قال شيخنا والاخذ بما ذهب اليه ابن عباس اولى من غير حاجة الى التكاليف والى
هذا ذهب اكابر المفسرين ومن سكت عن مرجع الضمير فانما سكت لظهوره بانه يرجع الى نوح والله
اعلم قوله قل اى يا نوح او يا محمد ان افتريته بالغرض البحت فعلى اجرامى اى فعلى اثم
ووبال اجرامى وهو كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع اجرامى بفتح الهمزة وينصره ان فسره الاول
بآثامى وانا برئ مما تجرمون من اجرامكم فى اسناد الافتراء الى فلا وجه لمعاداتكم لى واعراضكم
عنى قال الاستاد مما تجرمون يعنى من الكفر والتكذيب وفى اللباب واكثر المفسرين على ان هذا من محاورة
نوح عليه السلام مع قومه فهى من قصته واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك
عند مبالغته فى بذل الوسع فى النصح مع عدم نفعه اياهم الا من قد آمن فى الماضى فانه
يستمر على ايمانه وهذا اقناط له من ايمان قومه سوى من آمن به واعلام بانهم استحقوا العذاب
المعجل لان تاخيره انما هو لتوقع ايمان البعض فدعى عليهم عند ذلك بقوله رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا ثم قال الله تعالى تسلية نوح على دعائه وتحزنه عليهم فلا تبتئس اى فلا
تحزن عليهم فانى مهلكهم بما كانوا يفعلون اى بسبب كفرهم وافعالهم القبيح وتكذيبهم
اياك وايذائهم لك فقد حان وقت الانتقام لك منهم قال ابن عباس ان قوم نوح عليه كانوا
يضربون نوحا حتى يسقط فيلفونه فى لبد ويلقونه فى بيت يظنون انه قد مات فيخرج فى
اليوم الثانى ويدعوهم الى الله وروى ان شيخا منهم جاء متوكئا على عصاه ومعه ابنه فقال
يا بنى لا يغرنك هذا الشيخ المجنون فقال يا ابت امكنى من هذه العصا فاخذها من ابيه وضرب بها
نوحا عليه السلام حتى شجه شجة منكرة فاوحى الله اليه انه لن يؤمن الاية وحكى محمد بن اسحق
عن عبيد بن عمير الليثى انه بلغه انهم كانوا يبطشون بنوح فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا افاق
قال رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون حتى تمادوا فى المعصية واشتد عليه منهم البلاء وهو
ينتظر الجيل بعد الجيل فلا ياتى قرن الا كان اخبث من الذى قبله ولقد كان ياتى القرن
الاخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ مع ابائنا واجدادنا هكذا مجنونا فلا يقبلون منه شيئا
فشكى نوح الى الله عز وجل فقال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا الايات حتى بلغ رب لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا فاوحى الله اليه واصنع الفلك يعنى السفينة والفلك يطلق
على الواحد والجمع باعيننا قال ابن عباس بمرأى منا وقيل بعلمنا وقيل بحفظنا قال
الاستاد معناه متلبسا بكمال حفظنا اياك حفظ من يراك ويملك دفع السوء عنك فعبر بكثرة
آلة الحس الذى به يحفظ الشئ ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة فى الحفظ والرعاية
على طريق التمثيل وقيل باعيننا اولياءنا من الملائكة الموكلين بك ووحينا اليك كيف تصنعها اى
نعرفك صنعتها وتقديرها وهيئاتها وقيل فى الامانى ووحينا اليك بذلك الصنع او بصفته وفى
الخزانة لم يكن يعلم كيفيته فاوحى الله اليه ان اصنعه مثل جؤجؤ الطير انتهى وقيل ووحينا اى امرنا

Copyright © King Saud University